في هذه الزّاوية، تفتح «الآداب» نفسها على ذاكرتها، فتعود إلى ماضيها، تكشف مفارقه، وعلاماته المضيئة، وهناته، وملامحه، وآماله، وإحباطاته. وإذ تعود إلى ذلك الماضي، فإنّها تسعى إلى وصل أجزائها، بالاغتناء من تجاربها، دون أن يعني هذا بالضّرورة إيثارَ ما سلف منها على ما خلف، ولا جلْد ذاتها على ما قصّرتْ في القيام به أربعين عاماً أو تزيد.

إنّ ذاكرة «الآداب» ليست إلاّ ذكريات جيل عربيّ على مشارف القرن الحادي والعشرين، يكشف أيّامه الماضيّة ـ بما فيها من عزيمة وشباب وأحلام وجموح ونجاح وإخفاق ـ على خلفه أو مجايليه الجدد. وقد يُعلّق صاحب المجلّة أو مدير التّحرير أو طرف ثالث على بعض ما جاء فيها، نقداً أو نقضاً أو تثميناً أو إضاءَة. وسوف ترصد «الذّاكرة» أهمّ القصائد، أو المقالات، أو القصص القصيرة، أو الأبحاث النّقديّة، أو التّمثيليّات القصيرة، أو النّصوص الشّاعريّة، الّتي كان لها وقعٌ في السّاحة الثّقافيّة العربيّة آنذاك، أو صار لها مثل هذا الوقع اليوم.

ذاكرة الآداب ـ ٣٠

محطّتنا الثّالثة هي مع الشّاعر النّمساوي «أريش فريد». ففي نيسان ١٩٦٩ ترجم د. عيسى علاونة ثلاثَ قصائد قصيرة لهذا الشّاعر من الألمانيّة. وتشاءُ الأقدار أن يجدّد د. علاونة صداقته لـ «الآداب» بإرساله قصائد أخرى لـ «فريد» منذ أيّام قليلة. ونحن إذ ننشر قصائد «فريد» السّابقة (ضمن «ذاكرة الآداب») وقصائدَهُ اللاّحقة (مع مقدّمةٍ جديدة للمترجم في الصّفحات الّتي تلي «الذّاكرة»)، فإنّما لنؤكّد مسألتيْن مترابطتيْن وراهنتيْن:

أ ـ لا يمكننا أن نكون معادين لأيّ إنسانٍ على وجه الأرض بسبب دينه أو عِرْقه أو مذهبه؛ وإنّما يعنينا موقفُه السّياسيّ والحضاري من مشاكل العالم والأخطار الّتي تهدّد سلمه وتعاون شعوبه، ويعنينا ـ بالدرجة الأولى ـ موقفه من الاحتلال الإسرائيلي وعسفه. وبهذا، فإنّنا ننأى بأنفسنا عن أن نعادي «اليهود» انطلاقاً من عقليّة ثأريّة أو من عقيدة أصوليّة قوميّة متزمّتة ترفض اليهودَ لمجرّد كونهم يهوداً، أو تُلْصِقُ بهم مؤامرات تزعم تلك العقليّةُ أو هذه العقيدةُ أنّها من صلب «تكوينهم» البيولوجي!

ب ـ ولا يمكننا ـ بالمقابل ـ أن نقبل كُلَّ ما نسمعه ـ على لسان حكّام ومثقّفين ـ بضرورة الانفتاح على «الآخر»، وتعزيز الأواصر بين الشّعوب العربيّة واليهوديّة، وإنهاء الصّراع العربي اليهودي، والحوار مع المثقّفين «اليهود». إنّ مثل ذلك الانفتاح والتعزيز لن يستقيم إلاّ على قاعدة إنهاء الوجود الاستيطاني الإسرائيلي على كامل الأرض العربيّة، ولو تطلّب ذلك الإنهاءُ أجيالاً طويلة. كما أنّ الحوار مع المثقّفين «اليهود» لن يستقيم إلاّ على قاعدة تعريف الهويّة السّياسيّة لهذا اليهودي أو ذاك، بما لا يتعارض مع إقراره إقراراً لا لبسَ فيه بالحقّ العربي (ولو في حدود ١٩٦٧). ولمّا كانَ ما نراه اليوم من سياسات إسرائيل وتصاريحها لا يلبّي الشّروطَ الدّنيا للسّلام، فإنّ واجب المثقّفين أن يعلنوا أنّ كُلّ الاتفاقيات الّتي جَرَت مع العدوّ الصّهيوني أو الّتي ستجري لا تعنيهم، وأنّ معركتهم مع «إسرائيل» ستستمرّ بمختلف الوسائل المتاحة والمجترَحة صوناً للذاكرة المذبوحة (على نحو ما أكّد «فريد»): في القبيّة ودير ياسين وكفرقاسم ونهر البارد وجنوب لبنان وغيرها من المناطق، وَصَوْناً للقيم الإنسانيّة الحقّة وللتعاون الحقيقي بين مختلف الأعراق والأديان.

إنّ النّازيين الهتلريين الّذين فَرّ من وجههم «أريش فريد» وهو في السّابعة عشرة من عمره، قد أطلّوا بوجه إسرائيلي يتلبّس ثوب الضّحيّة السّابقة، ومازالوا يمعنون في أجوائنا ومخيّماتنا ومدننا تقتيلاً وتخطيطاً لتوسّع اقتصادي وثقافي. وفي مواجهة الذلّ العربي، لابدّ لنا من التمسّك بالذّاكرة كما بالنّظرة الرّاهنة إلى ما يجري وإلى ما يُعرض علينا قبوله!

الآداب